وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
ⴰ ⵢⵉⵏⵉⵀⵏ ⵓⵙ ⵓⵎ ⵉⵎⵙ Vⵓ ⵏ ⵏ ⵉⵅⵅⵓⵙ ⵏ ⴰ Vⵉⵙ ⵙⵏ ⴰ ⵏ
Xⴰ ⵙVⴰ ⵍⵉⵅX ⵏ ⵉⵎⵙ ⵉⵙ V ⴰ X ⵔⵃⵓ ⵔⵔⵓ Q ⵏ Xⵉ ⵅⵉ ⵓ ⵅⵅⵓ
Xⴰ ⵅⵓ ΛΛⴰ ⵉXⵏ ⵙⵎ ⵅⵉⵏⵉⵍⵉⵏ VXⵓ Xⵉⴰ ⵉⵏ
UNIVERSITE MOULOUD MAMMERI DE TIZI-OUZOU
FACULTE DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes
.
جامعة مولود معمري -تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر

الميدان: لغة وأدب عربي.
الفرع: لغة وأدب عربي.
التخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

العنـــــــــوان:

مظاهر الصراع ضد المجتمع الأبوي في رواية " سالاس ونوجة" لإبراهيم تزاغارت

إعداد:

- **ليلة حمداني.**
- **دليلة عطار.**

لجنة المناقشة:

د. فتيحة بوسنة، أستاذة محاضرة "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... رئيسا.

د. عزيز نعمان، أستاذ محاضر"ب"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو..... مشرفا ومقررا.

أ. تسعديت بن أحمد، أستاذة مساعدة "أ"، جامعة مولود معمري، تيزي وزو.....

السنة الجامعية 2017/ 2018.

الشكر

أولا وقبل كل شيء نشكر الله تعالى الذي أنار لنا دروب الحياة لإتمام هذا العمل المتواضع.

لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا في إتمام هذه المذكرة، وبالأخص الأستاذ المشرف "عزيز نعمان" على نصائحه وتوجيهاته القيمة، وأعضاء لجنة المناقشة الذين تكرموا بقراءتهم لهذا البحث.

الإهداء

نهدي هذا العمل المتواضع إلى عائلتينا، وكلّ من وقف بجانبنا، من قريب أو بعيد.

يتكون المجتمع من مجموعة أسر، تعد خليته الأساسية، تسير وفق نظام تحدده جماعات معينة ، وهو يتشكل من عادات وتقاليد ومعتقدات تؤدي دوراً مهما في تكوين هويته. فالمجتمع الجزائري عرف تغيّرات كثيرة مسّت جميع الأصعدة ، منها الثقافية والفكرية، والاجتماعية وغيرها، فرغم التغيّرات الهائلة التي شهدها إلا أنّه لا يستطيع التخلي عن جميع العادات الموروثة التي تربط بين أفراد المجتمع الواحد، وإن فعل الفرد ذلك لأي سبب يُفقد بنيته وهويته الثقافية.

لقد عانى مجتمعنا الجزائري كثيرًا من هيمنة السلطة الذكورية وتشدّدها لحقبة زمنية طويلة، فكان لذلك وقعه على حياة الفرد،مما جعل العديد من الأدباء والمفكرين يبحثون في هذه القضية، ويحاولون تفسير طبيعة الصّراع القائم بين الأفراد ومنظومتهم الاجتماعية.

ويعتبر إبراهيم تزاغارت واحداً من أولئك الأدباء الذين شغلتهم قضية الصراع ضد المجتمع الأبوي، واستطاع أن يعبّر عنها من خلال روايته"سالاس ونوجة"، وهي الرواية التي وقع اختيارنا عليها لدراسة موضوعنا، وحرّكنا في ذلك فضول كبير مُؤداه معرفة كيفية معالجة تزاغارت موضوع السلطة الأبوية. وتعدُ روايته تلك أوّل رواية مترجمة من الأمازيغية إلى العربية، وهذا من بين الأسباب التي دفعتنا إلي اختيارها، ومحاوله إظهارها للقارئ، إضافةً لتناولها قضية اجتماعية مهمة، وكذا رغبتنا في إطلاع الآخر على عادات وتقاليد المجتمع الجزائري عامة والقبائلي خاصةً.

إنّ بروز قضية تسلط الأعراف على الأسرة القبائلية في رواية"سالاس ونوجة"، التي تعدُّ محوراً أساسياً به ترتبط كافة الأحداث وتتحدد ملامح الشخصيات، دفعنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة نصوغها فيما يلي:

-كيف صوّر الأديب في روايته المجتمع الذي ينتمي إليه؟

- ما هي مظاهر الصّراع بين العادات القديمة والحديثة في رواية "سالاس ونوجة"؟

- فيما تتجلي أشكال التغيير في عمل تزاغارت؟

افترضنا أن يكون الكاتب إبراهيم تزاغارت قد تناول موضوع العادات والتقاليد باعتبارها قضية اجتماعية بالدّرجة الأولى، كما أنّه يدعو إلى التخلص من كلّ ما يقيد حرية الإنسان، فنلاحظ أنّ الكثير من العادات والتقاليد في المجتمع القبائلي قد زالت وتم الاستغناء عنها، ويمكن أن يعود ذلك إلى التغيير الحاصل داخل نظام الأسر، إذْ كان اتخاذ القرارات والآراء في الماضي عائداً إلى كبير العائلة، أمّا في وقتنا الحاضر أصبح هناك تواصل وتفاعل بين الصّغار والكبار، ومرّد ذلك التعليم الذي حظيت به الأجيال الحالية، وكذا تفتح عقلية الشبان بصفة خاصة، وهو ما يوحى بالتغيير في منظومة القيم.

مادامت دراستنا مرتبطة بتيمة الصّراع، كان اعتمادنا على تقنيتي الوصف والتحليل لاستقراء عناصر الصّراع وأشكاله، وقام تحليلنا على استثمار مفهوم الالتزام المتداول في النقد الأدبي المعاصر، والبحث في مشاريع الشخصيات السردية، وبنى النّص العاملية وأبعاده الدلالية العميقة، استناداً إلى طروحات السيميائيات السردية.

للإجابة عن الأسئلة المطروحة في الإشكالية والتأكد من صحة الفرضيات الموضوعة قسمنا بحثنا إلى فصلين، وكلُّ فصلٍ ينقسم إلي مبحثين، بالإضافة إلي مقدمة وخاتمة. أما الفصل الأوّل فيحمل عنوان التّصوير الأدبي للصراع في الرّواية الجزائرية، وقد خصصناه للجانب النظري، وقسمناه إلى مبحثين، تناولنا في الأوّل نماذج الصّراع في الرّواية الجزائرية، وتحدثنا في الثاني عن أساليب تصوير الصّراع في الرّواية الجزائرية.

أما الفصل الثاني الموسوم بتمثيل الصّراع في رواية"سالاس ونوجة"، فقد خصصناه للجانب التطبيقي فتحدثنا في مبحثه الأوّل عن صراع الشخصيات والذهنيات، أمّا المبحث

الثاني المعنون بالتغيير علي أنقاض المجتمع الأبوي، فحاولنا فيه دراسة بعض التّغيرات الحاصلة في المجتمع القبائلي، وإظهار موقف الكاتب منها.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها:

- المثقفون الجزائريون والثورة: للعربي الزبيري.
- الرّواية والتحولات في الجزائر: لمخلوف عامر.
- السيميائية السردية: لسعيد بنكراد.
- قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة: لمحمد غزالي.

ومن الصعوبات التي اعترضت سبيلنا ونحن نعد هذا البحث قلة الدّراسات المهتمة برواية "سالاس ونوجة"، وقلة المصادر والمراجع التي تخدم موضوعنا، وكذا ضيق الوقت.

ولا يفوتنا في النّهاية أن نعبر عن شكرنا للأستاذ المشرف "عزيز نعمان" الذي لم يبخل علينا بنصائحه وتوجهاته، فلولاه لما وصلنا إلي نهاية هذا البحث المتواضع. كما نشكر أعضاء لجنة المناقشة على قبولهم قراءة هذا البحث.

الفصل الأول:

التصوير الأدبي للصراع في الرواية الجزائرية.

تعّد الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي تقوم على تصوير الحياة الاجتماعية، فقد استطاعت أن تعبّر بامتياز عن الواقع الإنساني ورصد همومه وآلامه ورسم إستراتجيته الفكرية والجمالية، وبناء على ذلك المعطى عبرّت العديد من الروايات الجزائرية الحديثة والمعاصرة عن مشاكل الوطن ووقائع الإنسان وآلامه، وتعدّ القضايا الاجتماعية نموذجا لذلك، حيث شهدت الساحة الأدبية في الجزائر عددًا من الروايات التي كانت القضية الاجتماعية موضوعًا لها، مشكلة في الأغلب مرجعية الخطاب الروائي. ومن أبرز المواضيع التي عالجتها هذه الروايات قضية الصراع بمختلف أنواعه، والتي تعدّ مسألة مهمة شغلت الأدباء أمثال مولود فرعون، مولود معمري، عبد الحميد بن هدوقة، واسيني الأعرج، مليكة مقدم، فضيلة فاروق وغيرهم .

المبحث الأول:

نماذج الصراع في الرواية الجزائرية.

يعدّ الصراع ظاهرة طبيعية في حياة الإنسان والمجتمع ، فهو عبارة عن شبكة مركبة من الأفراد، بحيث يتمتع كل فرد برأيه وشخصيته الخاصة ، وكذا رغبات ومصالح يهدف لتحقيقها، فتضارب هذه المصالح مع تفاوتهما في الطبقات، سواء كانت اجتماعية، ثقافية، سياسية وغيرها، ينجم صراع، وبالتالي يتحول المجتمع من الانسجام والتماسك إلى شذرات مليئة بالكراهية،و يحاول كلّ فرد إثبات ذاته مع والسيطرة على الآخر.

1- مفهوم الصراع:

للصراع دلالات لغوية واصطلاحية، نحاول تحديدها فيما يلي:

أولاً: لغة: وردت مادة صرع في لسان العرب لابن المنظور في قوله: «الصراع، الطرح بالأرض وخصّه في التهذيب بالإنسان، صارعه فصرعه صرعًا وصِرعًا، وفي الحديث : مثل المؤمن كالخامة من الزرع تصرعها الريح مرّة وتعدّلها أخرى، أي تميلها وترميها من جانب إلى جانب، وفي الحديث : الصّرعة بضم الصاد وفتح الراء مثل: الهمزة، الرجل الحليم عند الغضب وهو المبالغ في الصّراع الذي لا يغلب فنقله إلى الذي يغلب نفسه عند الغضب ويقهرها، فإنّه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشرّ خصومه»[1].

ثانيا: اصطلاحا: للصراع تعريفات عديدة، فترى النظرية الكلاسيكية مثلا أنه: «سلوك تنظيمي معطل، أما دوتش: (Dutsh) فيري أنه يكون عند وجود النشاطات المتعارضة والمتضاربة، إذ يقول: إنّ هذه النشاطات التي تمنع، أو تفسد، أو تعيق النشاط الآخر وتسدّ

[1]- أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الإفريقي المصري، لسان العرب، المجلد الثامن، باب ع، ط1، دار صادر، بيروت، 1992، ص 197 .

الطريق عليه، أو على الأقل تقلل من قيمته وتجعل ذلك النشاط الآخر أقل أهميته وتأثيرا»[1]. فعندما لا يصل الإنسان إلى أهدافه وطموحاته يتولد لديه صراع يحاول إزاحة كلّ المعوقات التي يتلقاها في طريقه، ويجسد ذلك بشتى الطرق لتحقيق ما يريده.

رغم اختلاف مفهوم الصراع لغة إلاّ أنه يؤدي إلى نتيجة واحدة وهي تجريد الإنسان من حالته الواعية بسلوكاته إلى حالة لا واعية، مع إظهار مساوئه.

2- أنواع الصراع :

للصراع أنواع كثيرة ومتعددة، وتختلف بإختلاف المجتمعات والثقافات ومجالات الحياة، نذكر منها:

2-1- الصراع النفسي:

هو نوع من الصراع يعيشه المرء مع ذاته غير المتزنة، والمرتبكة خاصة عندما يكون بين هدفين أو أمرين مختلفين يحتار في اختيار أحدهما، يولد لديه صراعاً نفسي قد يؤدي إلى اضطرابات وغيرها من الأمور، ونجد أديب الخالدي من روّاد الدراسات النفسية أشار إلى الصراع النفسي« بأنه تعرض الفرد لقوى متساوية تدفعه باتجاهات متعددة ممّا يجعله عاجزا عن اختيار اتجاه معين يترتب عليه الشعور بالضيق، وعدم الارتياح وكذلك حالة قلق، هذا ناتج عن صعوبة اختياره أو اتخاذ القرار بشأن الاتجاه الذي يسلكه»[2]. فهذا النوع من الصراع تجسد كثيرا في الروايات الجزائرية، كرواية "أقاليم الخوف" لفضيلة فاروق و"ابن الفقير" لمولود فرعون، "وريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة، وغيرها من الروايات، فينقسم الصراع النفسي إلى قسمين: صراع داخلي وصراع خارجي.

[1]- كاميليا بورنان، الصراع في رواية ابن الفقير"لمولود فرعون"، مذكرة لنيل شهادة ماستر في الآداب واللغة العربية، إشراف عبد الحميد جودى، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2016/2015، ص19.

[2]- أديب الخالدي، المرجع في الصحة النفسية، نظرة جديدة، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2009، ص124.

أ- الصراع الداخلي:

هو صراع المرء مع ذاته في تحقيق الرغبات التي يريد الوصول إليها، مع اصطدامه بالواقع المعاش، وينجم عنه نوع من الصراع مع الذات والواقع، وهذا ما نلمسه في رواية

"أقاليم الخوف" : لفضيلة فاروق، حيث تقول: «عشت حياة ممتعة بين بيروت والضيعة، وبين عائلة زوجي وعائلة والدي، لكني كنت أتضايق من الأهداف التي غابت من حياتي، وحلقة الفراغ التي أدور فيها شيئا فشيئا أصبحت تضيق عليّ حتى ما عاد بإمكاني أن أتنفس».[1] من خلال المقطع نلاحظ أن الراوية تعاني من الصراع النفسي الداخلي، وذلك لعدم استطاعتها تحقيق رغباتها وطموحاتها في الحياة التي أرادت هي عيشها، وإنّما فرضت عليها السيطرة إلى درجة انغلاقها على نفسها، مع فقدانها للطريق الذي رسمته وأرادت تحقيقه في حياتها.

وأما في رواية "ابن الفقير" لمولود فرعون، التي تعتبر سيرة ذاتية لحياة الراوي، فنلمس تخبط الراوي في العديد من الصراعات، لأنه عاش فقيرا في منطقة القبائل، فيقول في موضع من الرواية: «كان والدي وعمي من فقراء حينا»[2]. فاستطاع " فورولو" وهو البطل والشخصية الرئيسة في رواية "ابن الفقير" التغلب على المشاكل التي واجهته في حياته، والتي كان من الصعب عليه مجابهتها لأنه ولد فقير، رغم ذلك استطاع أن يلتحق بمقاعد الدراسة ويحقق النجاح الذي طمح إليه، وقد أشار الكاتب إلى نتيجة صموده في قوله: « إنّه من دواعي سروري أن أكتب لأعلمك أني نجحت في اختيار الشهادة الابتدائية»[3]، وبهذا يكون ابن الفقير قد استطاع أن يحقق لنفسه أوّل انتصار رغم كل المحن والاعتراضات التي تلقاها من مجتمعه، وبالأخص أفراد قريته.

---

[1]- فضيلة فاروق، أقاليم الخوف، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2010 ، ص27.

[2]- مولود فرعون، ابن الفقير، ترجمة: عبد الرزاق عبد الحميد، دار تلا نتيقيت ، بجاية، 2014، ص66.

[3]- م. ن، ص ص 134، 135.

ب- الصراع الخارجي:

ويتمثل في الصراع مع أفراد المجتمع، فنجد مثل هذا النوع من الصراع في رواية "ريح الجنوب" لعبد الحميد بن هدوقة في قول الراوي على لسان البطلة "نفيسة": « ألسنة السوء... إن الدنيا تبدلت يا خالة، إنّ جهل الرجال هو الذي أطلق ألسنتهم بالسوء فينا وإنّ جهل المرأة هو الذي يجعلها تحيا بين عبودية الآباء والأزواج... »[1]، فمن خلال هذا المقطع نلمس تضايق "نفيسة" من تحكم العادات والتقاليد في عقول أفراد المجتمع، ممّا أدى إلى انزياحهم من التفكير المنطقي، حيث منحت العادات والتقاليد مكانة للرجل وحرية التصرف في المجتمع على حساب المرأة واعتبرها كائنا دون كيان، فارضة عليها قيودا كثيرة.

وإنّ الصراع الخارجي من أبرز الصراعات التي لمسناها لدى شخصية البطل في رواية "ابن الفقير"، حيث أراد أن يغير حياته بيده، وأن لا يعيش مثلما يعيش أهل قريته في منطقة القبائل، فتفكير فورولو يختلف عن تفكير أهل قريته، ونجد ذلك في قول الكاتب: « كان والده نفسه يدرك تمام الإدراك أنّه لن يصل إلى شيء ذى بالٍ».[2] في نهاية المطاف رغم الصراعات والحواجز التي وجدها في حياته إلاّ أنّه استطاع تجاوزها، ويبرهن أن الطفل القبائلي لا يستسلم للمصاعب وإنّما يواجهها، ويبذل قصارى جهده ليغير حياته من الأسوء إلى الأحسن، مع تحقيق الأهداف والطموحات التي أراد الوصول إليها.

2-2- الصراع الاجتماعي:

هذا النوع من الصراعات يحدث بين أفراد المجتمع، نتيجة لتضارب المصالحهم ، فلكل فرد نظرة خاصة، و رغبات يريد أن يحققها، ويرى الدارس الألماني رالف دورندوف (Ralf Dahrendof) في هذا الصدد أن «الصراع متأصل في المجتمع ، فالجماعات التي تمتلك

[1]-عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1971، ص09.

[2]- مولود فرعون، ابن الفقير، م. س، ص06.

القوة سوف تناضل من أجل مصلحتها وكذا الأمر بالنسبة للجماعات التي تفتقد إلى القوة ومصالح الجماعتين مختلفة بالضرورة»[1]. فيعتبر الصراع شيئا محتوما في المجتمع، نتيجة اختلاف المصالح، فكّل فرد يحاول أن يحقق ما يريده هو، ويثبت وجوده في الحياة حتى وإن كان ذلك على حساب الآخرين.

تناول العديد من الروائيين الجزائريين الصراعات المختلفة المتولدة بين أفراد المجتمع، ومن بين الذين تناولوا الصراع الاجتماعي نجد مولود فرعون، وعبد الحميد بن هدوقة وغيرهم، ومن أبرز الصراعات التي نلمسها عند هؤلاء نذكر:

أ- الصراع داخل العائلة:

معروف عن الأسرة الجزائرية التقليدية أنها أسرة متكاملة، فأفرادها لا يخرجون عن نظام الأسرة، ويعيشون في حلقة متماسكة وموحدة، وهذا ما أشار إليه مصطفى بوتفنوشت في قوله: « الأسرة الجزائرية التقليدية وحدة اجتماعية حيث الأبناء والأحفاد لا يتركون الأسرة الأم، حيث يشكلون أسرا زوجية صغيرة تابعة للعائلة ويعيشون تحت سقف واحد »[2]، ولكن يولد في مثل هذا النظام صراعا في بعض الأحيان ومشاكل داخل الأسرة، ويتجلى ذلك في مظاهر عديدة نذكر منها:

أ- 1- الصراع بين الحماة و الكنة:

يعتبر من أبرز الصراعات التي تحدث داخل الأسرة لأنّ كل واحدة منهما تحاول أن تفرض سيطرتها، ورأيها على الأخرى في إدارة أمور البيت وبالتالي يحدث صراعاً بينهما قد

[1]- محمد عبد الكريم الحوراني، النظرية المعاصرة في علم الاجتماع- تمدد آفاق النظرية الكلاسكية- ط1، دار مجدلاوي، للنشر والتوزيع، عمان، 2012، ص208.

[2] - بويلعى وسيلة وفرج الله صورية، الصراع حول القيم الاجتماعية في الأسرة الجزائرية، دراسة استطلاعية على عينة من المراهقين، الملتقى الوطني الثاني حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، جامعة قاصدي مرباح، قسم العلوم الاجتماعية، ورقلة، أيام 10.9 أفريل 2013، ص04.

يؤدي إلى تشتت الأسرة، ونجد مثل هذا النوع في رواية عبد الحميد بن هدوقة المعنونة ب "غدا يوم جديد"، فيقول الكاتب في أحد المقاطع: « أمه كانت طاغية تعامل زوجته معاملة عنيفة و قاسية تحرض بناتها على إيذائتها إلى درجة لا تطاق، كانت تغار من كنتها لأنها في نظرها أخذت منها ابنها، وكانت بناتها يغرن من زوجة أخيهن، في النهاية طلبت من ابنها إمّا التطليق وإمّا الخروج من دار الأسرة»[1]. نلمس من خلال هذا المقطع صراعا حادا بين الحماة والعروس، خاصة أن الحماة ليست هي من اختارتها بنفسها، فتشعر دائما بأن الكنة قد أخذت أغلى شيء في حياتها وهو ابنها الذي تعبت في تربيته وتكوينه، ولم تستطع تقبل فكرة مجئ امرأة أخرى تأخذ مكانتها.

أ-2- الصراع بين الرجل والمرأة:

إنّ سيطرة العادات والتقاليد على المجتمع يزيد من حدّة الصراع بين الرجل والمرأة، ذلك أنها منحت الحرية والسلطة للرجل على حساب المرأة، وهذا ما توضحه الكاتبة فضيلة فاروق في روايتها "تاء الخجل" في قولها: « كان يزعجني أن أرى سيدي إبراهيم في موقع السلطان، وأعمامي وأبناءهم حاشيته المفضلة، يجلسون في غرفة الضيوف حول مائدة كبيرة ينتظرون خدماتنا لهم، كانت النسوة يبقين في المطبخ، يسكبن الصحون، ونحن الصبايا نقوم بتوصيلها، ولهذا كلّ يوم جمعة أصاب بالصداع، أتمارض، وأختار لنفسي موقعا في البستان أو على سلالم السطح لأختفي عن الأنظار»[2]، فبطلة الرواية "خالدة" ترفض رفضا قاطعا أن تعيش ما تعيشه النساء، وما يتعرضنّ له من معاناة وتسلط وسيطرة من طرف الرجل، فقررت أن تمضي لتحقيق رغباتها وذاتها، رغم كلّ المشاكل التي تعانيها من جراء العائلة، ونلمس ذلك في قولها: « سأرى من سينكسر أنا أم هم»[3]. ففي هذا المقطع تظهر الجرأة التي تتمتع بها

[1]- عبد الحميد بن هدوقة، غدا يوم جديد، منشورات الأندلس، الجزائر،1992، ص51.

[2]- فضيلة فاروق "تاء الخجل"، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ،2003، ص24.

[3]- م. ن، ص 29.

"خالدة" وروح تحديها للمجتمع الذكوري، مع رسم مستقبلها الذي تريد أن تحققه في حياتها، وذلك من خلال إثبات وجودها ككائن حي له كيان وروح تشعر وتحسّ، ولها طموحات، أضف إلى ذلك أنّها تريد أن تظهر أمام الآخرين قوية متماسكة.

نجد أيضًا فضيلة فاروق إضافة إلى عبد الحميد بن هدوقة قد طرح قضية صراع المرأة مع الرجل في روايته "ريح الجنوب"، فصور لنا بطلتها "نفيسة" الراغبة في مواصلة الدراسة والتحرر، فرفضت الزواج من "مالك" شيخ البادية مع إصرار والدها على تزويجها له رغما عنها ولكنّها تمسكت برفضها، ونلمس ذلك في قول الكاتب على لسانها: « قولي له لن أتزوج ولن أنقطع عن دراستي سأعود إلى الجزائر مهما كان الحال. ذعرت الأم وهي ترى ابنتها في هذه الحالة العصيبة واقتربت منها تحاول تهدئتها، ولكن هذه دفعتها بقوة وقالت: الذل الذي عشت فيه أنت لن أعيشه، كوني أما لغيري إن شئت، وليكن أبا لمن أراد آمّا أنا فلن أدع هذه اللعنة تبلغ مني ما بلغت من غيري»[1]. فهذه الفقرة تعبّر عن معاناة "نفيسة" من القرار الذي اتخذه والدها بتزويجها الإجباري، فتحدته ورفضت الرضوخ له، مع تمسكها بفكرة أن لا تعيش الحياة نفسها التي عاشتها والدتها ونساء القرية .

ب/ الصراع بين أفراد القرية :

هوصراع ناتج عن اختلاف في الأفكار والآراء ووجهات النظر، فلكل فرد شخصيته، وقد يؤدي هذا النزاع والاختلاف إلى الكراهية، إذ يحاول كلّ فرد تغليب رأيه على الآخر، وفي هذا الإطار يقول مولود فرعون في روايته ابن الفقير: « تجماعت تغصّ بين الفينة والفينة بالمتفرجين والمتصارعين، وما من أحد من المتفرجين كان على الحياد، ها هن العجائز اللّواتي تنهّشهن العداوة يسترجعن الحسابات الأخيرة التي تنتظر سوى حجة واهية لتلتهب من

[1]- عبد الحميد بن هدوقة، "ريح الجنوب، م . س ، ص16.

جديد»[1]. يلجأ أهل القرية إلى ثاجماعت التي تمثل السلطة الوحيدة في منطقة القبائل، وهي القادرة على حلّ النزاعات والخلافات بين أهل القرية، دون اللجوء إلى المحاكم، مع حصول كلّ فرد من أفراد القرية على حقه بالتساوي مع الآخر.

2-3- الصراع السياسي:

مرت الجزائر في المراحل السابقة بفترتين عصيبتين، كان لهما أثر بالغ في الحياة السياسية، والاجتماعية والاقتصادية للبلاد، أولهما مرحلة الاحتلال الفرنسي، وثانيهما مرحلة العشرية السوداء، وسنحاول فيما يلي إظهار تجليات الصراع السياسي في الرواية الجزائرية في كلّ مرحلة على حدّة.

أ- مرحلة الاحتلال الفرنسي:

تعتبر الثورة التحريرية من أكبر الثورات التي خاضها الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي، حيث سجل فيها أبناء الجزائر تضحيات كثيرة، وبطولات عديدة في سبيل الحرية والاستقلال، فحاربوا العدو بكل الوسائل التي أتيحت لهم. وباعتبار الأدب مرآة عاكسة للمجتمع، فان الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية على أيدي مجموعة من الأدباء أمثال: مولود معمري، ومولود فرعون، ومحمد ديب، وكاتب ياسين، وغيرهم، تصوير الأوضاع المزرية للشعب الجزائري، ومعاناة أفراده من الظلم والاستبداد الذي يمارس عليه يوميا، فوجد ديب ورفقاؤه في الكتابة السلاح الأمثل لمحاربة فرنسا، وهذا ما يشير إليه الناقد العربي الزبيري في قوله: « فتصوير تلك الآلام بدقة والتعبير عن تلك الآمال بصدق سيجعلان القارئ إن كان جزائريا يتأمل فيما آل إليه، وما ينبغي أن يكون عليه، أما إن كان أجنبيا فإنه يطلع على

[1]- مولود فرعون، ابن الفقير، م. س، ص144.

مساوئ الاستعمار، ويتضامن بأية صورة كانت»[1]، فمن خلال كتابات هؤلاء الأدباء تمكن الأجانب من الاطلاع على القضية الجزائرية وعلى مساوئ الاستعمار الفرنسي وظلمه للأهالي، كمّا تمكّن الأدباء من نشر الوعي الوطني لدى كثير من النّاس سواء كان ذلك داخل الوطن أو خارجه .

وفي هذا الإطار جاءت رواية "الحريق" (Lincendie) (1954) لمحمد ديب، وقد عالج فيها قضايا سياسية واجتماعية للجزائر، فصور معاناة الطفل "عمر" من الجوع والفقر، وحرمانه من مقاعد الدراسة، كما أنّه تحدث أيضا عن الفلاحين ومعاناتهم اليومية من الظلم والاحتقار، وهذا ما يظهر في المقطع التالي: « الفلاح رائحته كريهة، ما الفلاح إلا بهيمة، الفلاح فظ غليظ، الفلاح كذا، الفلاح كذا... ولكن المصيبة أنّ هؤلاء الذين يقولون هذا لا يدعوننا نجرب تلك الحياة الجميلة»[2]. فالفلاح الجزائري إذن في نظر المستعمر الفرنسي إنسان دوني ليس له قيمة، فشأنه شأن البهائم والحيوانات.

يواصل ديب حديثه عن شعور المواطنين بالغربة في بلدهم في المقطع التالي: « كأننا نحن الأجانب، وكأن الأجانب هم أهل هذه البلاد. إنهم بعد أن ملكوا كلّ شيء، يريدون أن يملكونا نحن أيضا دفعة واحدة[3]». هذه الفقرة معبرة للغاية عن استياء المواطنين وشعورهم بالغربة في وطنهم وأرضهم بعد أن استولى المستعمر على جميع أراضيهم وممتلكاتهم.

عبّر ديب عن واقع الجزائر المرير بأسلوب واضح مباشر بعيدا عن التلميح، وهذا ما يؤكده العربي الزبيري في قوله:« وبهذا الأسلوب الواقعي، كان ديب يدفع القارئ الجزائري إلى

[1]– العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1995، ص101.

[2]– ينظر: محمد ديب، الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، مؤسسة دار الهلال،القاهرة 1970، ص ص 39–40.

[3]– م. ن، ص 46.

إدراك حقيقة الاستعمار، والمؤسسات التي أوجدها لخدمة مصالح أبنائه وإلى التفطن إلى أنّ المحتل لا يمكن أن يسويه بنفسه لأنّه يرى فيه مخلوقا مليئا بالعيوب»[1]. وهكذا تمكن ديب من توظيف كتاباته في فضح فرنسا، وكشف معاناة الشعب الجزائري للعالم وظلمه من جراء الاستعمار الفرنسي، كما أنّه عبّر عن رفض الشعب الجزائري للوجود الفرنسي واستيائه من الاحتلال وسياساته الإجرامية التي تمارس على الأهالي يوميا.

إضافة إلى محمد ديب نجد أيضا الشاعر والروائي مالك حداد، أحد أعلام الرواية الجزائرية المكتوبة بالفرنسية، إذ إنّه وظف كتاباته في التعبير عن حبه لوطنه، ورفضه لسياسية الاحتلال الفرنسي، وفي هذا السياق جاءت روايته " ليس في رصيف الأزهار من يجيب" (Le qui aux fleurs ne répond plus) (1961)، لتعبر عن شخصية المثقف الجزائري أثناء الاحتلال الفرنسي، ومعاناته النفسية في بلاد الغربة، وفي هذا الإطار يقول العربي الزبيري: «... رغم كلّ المغريات ظل غريبا عن المجتمع الباريسي، لم يتمكن من التكيف مع المحيط الغربي الذي استطاع بالفعل، أن ينفذ إلى أعماقه ويدرك حقيقته الإمبريالية، ومما لا ريب فيه أنّ اندلاع ثورة نوفمبر ساعده كثيرا على الفصل في الصراع الداخلي الذي كان يعاني منه... »[2] ، فاستطاع الكاتب أن يجسد ذلك ويصوره عن طريق الشخصية الرئيسة "خالد بن طوبال" الذي اضطرته الظروف إلى الهروب إلى فرنسا بسبب الواقع المرير الذي كان يعيشه من جراء الاستعمار، كما تحدّث الكاتب أيضا عن آلام الشعب الجزائري وصراعاته اليومية ضد المستعمر بسبب الظلم والقهر الذي يمارس عليه، وهذا ما يظهر في المقطع التالي من الرواية: « فثمة خبر يأتي كلّ يوم فيحرّك السكين في الجرح،

[1]– العربي الزبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، م.س، ص102.

[2]–م. ن ، ص163.

فلان اختفى، وفلان أوقف وفلان عذّب، العقل لا يتردد ولكن القلب يترنح... »[1]، فهذا المقطع يبين قسوة المستعمر على الأهالي والظلم الذي يمارسه عليهم.

إضافة إلى هذا كله نجد في هذه الرواية، أنّ مالك حداد قد أعلن عن موقفه الرافض للوجود الاستعماري في الجزائر، داعيا بذلك إلى الحرية والاستقلال بدلا من الإدماج، وهذا ما يوضحه المقطع التالي من الرواية: « لكنني أنا خالد بن طوبال، رجل الصدق والمكانة الصغيرة أريد أن تشم أمّي أزهار البرتقال كما تشم أمك أزهار الخزامي، وأن تكون سيّدة، سيّدة في مطبحها تماما مثلما تكون أمّك في مطبخها، ولكن أريد أن تقول أمك انّه عليها أن تتعلم أشياء كثيرة من أمي وأنّ أمي قد عانت من أمك أكثر مما عانته أمك من أمي »[2]. ففي هذه الفقرة تصريح مباشر عن رغبة مالك حداد في الحرية والاستقلال، واسترجاع الجزائر لسيادتها الوطنية وإدارة شؤونها الخاصة بنفسها، بعيدا عن أيّ دخيل أجنبي، كما أنّه يدعو أبناء الشعب الجزائري عامة، والمثقف خاصة، إلى الالتزام بالموقف نفسه.

ب- مرحلة العشرية السوداء:

ارتبطت الأعمال الأدبية في هذه الفترة بالأحداث السياسية والاجتماعية التي أثرت على الجزائر عامة، والمثقف خاصة، فلجأ الأدباء إلى الكتابة الروائية للتعبير عن مشاكلهم وهموم وطنهم، باعتبارها الفن الأنسب، لذلك « فالرواية يمكن أن تعبر بمرونة أكثر من جميع الفنون الأدبية الأخرى عن شخصية المثقف ومشاكله الأساسية»[3]. فظهرت مجموعة من الروايات على يد مجموعة من الأدباء منها:«(فتاوى زمن الموت)،(بوح الرجل القادم من الظلام)

[1]- مالك حداد، ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 1999، ص95.

[2]- م. ن، ص149.

[3]- عبد السلام محمد الشاذلي،شخصية المثقف في الرواية العربية(1952،1882)، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، بيروت،1985،ص10، نقلا عن: سعاد حمدون، صورة المثقف في روايات بشير مفتي، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير،إشراف لبوخ بوجملين، كلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح، ورقلة 2009/2008 ص08.

لإبراهيم سعدي،(الورم) لمحمد ساري،(سيّدة المقام، حارسة الظلام، ذاكرة الماء) لواسيني الأعرج،(عراف الخطايا) لعيسى لحيلح، (جدار الصمت) لياسمينة خضرا، (تميمون) لرشيد بوجدرة، (ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي، (وطن من زجاج) لياسمينة صالح»[1]. حاولت كلّ هذه الروايات رصد الصراع، وإظهار العنف الذي تعرض له المواطنون في تلك الفترة، ومثال ذلك رواية " تميمون" (Timimoun) لرشيد بوجدرة التي تعرض الأحداث المؤلمة في الصحراء الجزائرية، التي غاب فيها الأمن والاستقرار، « فتميمون الرواية، جولة طويلة عبر الصحراء الشاسعة، رحلة وسط الرمال الصفراء، والسماء الصافية، بحيث لا يبقى سوى الكاتب مع هواجسه وحواراته الداخلية[2]»، ففي هذه الرواية التي تدور أحداثها في الصحراء الجزائرية، يحاول بوجدرة إيراد مجموعة من الأحداث المرعبة عن طريق الأخبار التي سمعها في المذياع، ومنه النبأ الذي أعلن عنه بالصيغة الرهيبة التالية : « أغتيل أستاذ بن سعيد هذا الصباح على الساعة الثامنة بمنزله من طرف عصابة إرهابية من الإسلاميين، وحدث ذلك بمرأى ابنته البالغة عشرين عاما»[3]، ونستخلص من خلال هذا الخبر أنّ الجماعات الإرهابية تستهدف أهل العلم والثقافة، فكما يقول الناقد مخلوف عامر: « إنّ الذي قتل أستاذا، رمز التربية ومصدر العلم والإرهاب، يصوب رصاصه نحو أهل العلم والتنوير ليفرض حالة من الظلامية»[4]، فمقتل أستاذ أمام أعين ابنته يعني بث الرعب و زرع الخوف في الجيل الصاعد وتدميره نفسيا.

[1]– سعاد حمدون، صورة المثقف في روايات بشير مفتي، م .س، ص19.

[2]– مخلوق عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، دراسة نقدية في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق،2000، ص91.

[3]– رشيد بوجدرة، تميمون، ط2، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار والاتصال، الجزائر، 2002، ص 20.

[4]–مخلوف عامر، الرواية والتحولات في الجزائر، م. س، ص91.

يواصل الكاتب حديثه ليطلعنا على خبر آخر، وذلك في قوله: «صحفي فرنسي يغتال من طرف الإرهابيين بالقصبة في الجزائر»[1]، هذه المرة تتمثل الضحية في الصحافي الذي يمثل

رمز الحرية والتعبير، وتتواصل الأخبار لتعلن عن اغتيال أحد الكتاب الجزائريين في المقطع الثاني: « الكاتب الجزائري الكبير طاهر جاووت يغتال برصاصتين في رأسه من طرف ثلاث إرهابيين وهو يقود ابنته إلى المدرسة»[2]. لقد عبر بوجدرة في هذه الرواية عن بنية المجتمع التسعيني الذي ساده الظلم والاضطهاد، فحاول رصد مختلف الأحداث التي حاصلت في تلك الفترة ، فاختار منطقة الصحراء الجزائرية للتعبير عن ذلك.

2-4-الصراع الديني:

ورد الصراع الديني في العديد من الروايات الجزائرية، واتخذه الكثير من الكتاب كتيمة لرواياتهم، فنجد أنّ محمّد ساري جسد هذا النوع من الصراع في روايته "القلاع المتآكلة"، وحاول إظهار معاناة الشعب الجزائري في فترة التسعينيات من الخوف والعنف، والأهم من هذا كلّه بيّن الصراع الحاصل بين "رشيد بن غوسة "، أحد أبطال الرواية، مع ابنه "نبيل" الذي يكنّ له عداوة شديدة بسبب اختلافهما في العقيدة الدينية، وهذا ما يوضحه المقطع التالي:
« ماذا فعلت لك حتى تربّت بداخلك تلك الكراهية التي لطالما قرأتها في عينيك؟ كراهية ضدّي وضد نفسك ... »[3]، فكل ذلك الحقد والكراهية تجاه والده سببها اختلاف في الأفكار والمعتقدات الدينية " فرنسي" رجل ملحد لا يؤمن بالدين الإسلامي، كما أنه متفتح على الأفكار الغربية، وهذا ما يظهره المقطع التالي: « مثلما تعرف يا سي عبد القادر، أنا ملحد وكافر

[1]- رشيد بوجدرة تيميمون، م. س، ص54.

[2]-م. ن، ص75.

[3]- محمد ساري، القلاع المتآكلة، منشورات البرزخ ،الجزائر،2003، ص20.

بالدّين الإسلامي لا أصوم ولا أصلي...هذه المرة ناقشتها في الأمر قلت لها إنّ الصلاة والدعاء إلى الآلهة الساكنة في السّماء عادات ابتكرها الإنسان في ضعفه وجهله»[1]. فالمسلم في نظر "رشيد" إنسان ضعيف وجاهل لا يملك ثقافة عصرية، على عكس ابنه "نبيل" الذي يرى أنّ الدين الإسلامي نجاة له في الدنيا والآخرة، فيحاول جاهدا دعوة والده إلى التوبة والاستغفار، بدلا من الكفر والإلحاد، يقول له في المقطع التالي: « لماذا لا تستغفر ربك في صبيحة هذا اليوم الأوّل من رمضان الكريم، فتأخذ حماما وتلتحق بالمسجد لأداء الصلاة مثلما يفعل جميع المسلمين ... »[2]. ولكن تمسك والده بأفكاره جعل "نبيل" ينحاز للجماعات الإسلامية التي استغلت الخلاف الذي كان بينه وبين والده، لتقنعه في الأخير بالانضمام إليها، شرط أن يقوم بقتل والده، ويتضح ذلك في المقطع التالي من الرواية: « اقترب منه هكذا على بعد متر ثمّ ترفع المسدس وتطلق النّار المسألة بسيطة وأنت أصبحت جنديا من جنود اللّه، ومن المبشرين بالجنة »[3]، لم يستطع "نبيل" تحمل الوضع، وتنفيذ المهمة التي كلّف بها، حيث جعله هذا الأمر يعيش مشاكل نفسية مما أدى في الأخير إلى انتحاره، ووضع حدٍ لحياته.

لقد ربط محمد ساري الصراع الديني في هذه الرواية بأحداث العشرية السوداء، وحاول تجسيد ذلك الصراع، والمشاكل التي عانت منها الجزائر في تلك المرحلة من عنف، وخراب، واطلاع الأجيال القادمة على الأحداث التي عاشتها الجزائر في ذلك الوقت.

[1]– ينظر: محمد ساري،القلاع المتآكلة م. س، ص82.

[2] – م . ن، ص89.

[3]–م. ن، ص 216.

المبحث الثاني:

أساليب تصوير الصراع في الرواية الجزائرية.

إنّ دراسة الأسلوب في الرواية ضرورة جمالية، فلكلّ أديب أسلوب خاص، يصوّر الواقع الفني بأسلوب فنّي يختلف من أديب لآخر، وكلّ حسب ذوقه في اختيار التعابير والكلمات وتصوير الواقع فنيا، فمن خلاله نستطيع الحكم على جمالية الأعمال الأدبية، ودرجة إبداعها، كما أنّه يساعد على كشف شخصية صاحب النّص والوصول إلى أفكاره، وما يدور في مخيلاته.

تتباين أساليب تصوير الصراع في الرواية الجزائرية من أديب لآخر، إلا أنّ المتفق عليه هو أنّ هناك مجموعة من العناصر الأساسية يشترك فيها أغلب الأدباء، ومنها نذكر توظيف:

- أسلوب الوصف.
- التراث الشعبي.
- أسلوب السخرية.
- التاريخ.
- الأسطورة.

وسنحاول التوقف عند كلّ عنصر على حدة، مستشهدين ببعض الروايات الجزائرية.

1- أسلوب الوصف:

يلجأ الأديب إلى الوصف ليصور لنا الواقع أو الصراعات، وحتى الفضاءات المرتبطة بحدث معين في الخطاب الروائي، ويقول نجيب محفوظ في هذا الشأن: « إنّه أكثر التفاصيل صناعة ومكرا لإيهام القارئ بأن ما يقرأه حقيقة لا خيالا، إذ أنه يثبت الموقف أو التشخيص

كحقيقة، مثل التفاصيل المتعلقة به، وكلّما دقت أسرع القارئ إلى تصديقها»[1]. وهذا ما نلمسه عند الأدباء الجزائريين في كتابتهم، فقد اتخذوا أسلوب الوصف لأنه يقرب إلى القارئ الصورة الحقيقية للأحداث، اجتماعية كانت أم سياسية، سواء عاشها الروائي بنفسه، وتكون كسيرة ذاتية له، وهذا ما لحظناه سابقا في روايات مولود فرعون، وما عاشه المجتمع الجزائري ككل.

لا تكاد تخلو فقرة من فقرات الرواية من جملة وصفية، علما أن الوصف عدّ من القديم محاكاة للأشياء والطبيعة، ليرتبط بعدها بما يحدث في الواقع، ويقترن بالواقعية، ما جعل الروائي يكتسب جمالية فنية في سرد خطابه الروائي، وهذا ما نلمسه عند الرّوائي محمد ديب "في ثلاثيته" الدار الكبيرة"، "الحريق" و"النول"، فنجد في هذه الروايات تغليب أسلوب الوصف بكثرة، فقد استخدم هذا الأسلوب بطريقة دقيقة تحيل القارئ إلى الوضع الإنساني الذي تعيشه منطقة بني بوبلان بتلمسان، حسب المواصفات التي قدمها الكاتب، ومن أبرزها في رواية "الحريق" وصفه لنساء المنطقة الريفية في قوله على لسان الراوي: « فقد لوحتهن الشمس صرن بلون العسل إنّهن كالذهب، ومع ذلك لا شيء من هذا يدوم لهن طويلا، إنّ اللعنة القديمة تلاحقهن فما أسرع ما تتحفر أقدامهن التي تطأ الأرض، فإذا هي ملأى بشقوق عميقة، فجمالهن يذبل في مثل لمح البصر بطريقة أو بأخرى»[2]. يصف هذا المقطع المرأة الريفية لمنطقة "بني بوبلان" ، ويبين كيف أنها فقدت جمالها وأنوثتها بسبب أعمالها الشاقة في الفلاحة، ويظهر الكاتب صراعها مع الحياة الريفية الصعبة، ومع ذلك قاومت بكل قوة وشجاعة لاجتياز المصاعب مهما كانت درجة قساوتها.

[1]– شوشة فاروق، حوار مع محفوظ نجيب، مجلة "الآداب" جوان 1960، نقلا عن بتيقة سليم، الريف في الرواية الجزائرية دراسة تحليلية مقارنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الآداب الجزائري، إشراف الأستاذ طيب بودربالة جامعة لحاج لخضر، باتنة(الجزائر)، 2010، ص81.

[2]– محمد ديب، الحريق، م. س، ص28 .

إضافة إلى محمد ديب نجد الكاتبة "أحلام مستغانمي" قد وظفت تقنية الوصف بكثرة في أعمالها الروائية، ومن بينها رواية "ذاكرة الجسد" التي تدور أحداثها حول قصة حب تجمع بين" خالد" رسام والمناضل الجزائري الذي فقد ذراعه بسبب حرب التحرير، و"حياة" الفتاة الجزائرية التي تعشق الشعر والرسم، وهي ابنة القائد والمناضل "سي طاهر" فتصف مدينة قسنطينة أثناء عودتها من الغربة وهذا ما يظهر في المقطع الآتي:

«فهل هذا هو الوطن

قسنطينة.....

كيف أنت يا اميمة.....واشك؟

أشرعي بابك واحضنيني موجعة الغربة .....موجعة هذه العودة

بارد مطارك الذي لم أعد أذكره، بارد ليلك الجبلي الذي لم يعد يذكرني

دثريني يا سيدة الدفء والبرد معًا.....

أجلي بردك قليلا، أجلي خيبتي قليلا

قادم إليك أنا من سنوات الصقيع والخيبة، من مدن الثلج والوحدة

فلا تتركني واقفتا في مهب الجرح.....»[1].

نلاحظ في هذه المقاطع أن البطلة "حياة" تعاني ألم الغربة ويغمرها أمل العودة، في الوقت نفسه، كما أنّها تصف لنا الحالة النفسية التي تملكتها أثناء عودتها، إذ إنها تشعر بالغربة في البلد الذي تربت وترعرعت فيه، ذلك أنها تطلب الدفء والحنان من قسنطينة بعد معاناتها من البرد في الغربة، فهي لم تجن منها إلا خيبة الأمل.

كما نذكر أيضا في هذا العنصر أيضا الروائية "آسيا جبار"، صاحبة المواضيع المتنوعة، من اجتماعية و سياسية، إذ تناولت موضوع المرأة في كتابتها بكثرة، ومن أبرز رواياتها نجد "بوابة الذكريات"، حيث تعالج قضية صراع المرأة ضد المجتمع الجزائري، تقول

[1]- أحلام مستغانمي، ذاكرة الجسد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1993، ص228.

في المقطع الآتي من الرواية: « قررت دون سابق إنذار(ولتذهب الأعراف المنافقة إلى الجحيم) أن تنتصب بغتة بهذا الفستان الأسود ذى الأزهار الحمراء والبنفسجية كي ترتجل رقصة قديمة متفاخرة، أثقلها بعض التردد، ثم بعد تسلل الإيقاع المهتز للطبل في نفسي، رغبت الالتفاف حول نفسي بينما الإيقاع لم يكن متسارعا، حيث كانت الموسيقيات يتحكمن فيه، سأرقص أمام جميع النساء كما يحصل في الغالب... »[1]. تصف لنا الروائية في هذا المقطع موقفها من العادات والتقاليد التي تسيطر على المرأة وتقيدها فيما يجوز لها القيام به وما لا يجوز، فهي ترفض أن تكون المرأة حبيسة الأعراف، وتدعو إلى تحريرها وانفتاحها وكسرها للحواجز التي تعيق حريتها.

2/توظيف التراث الشعبي:

يعتبر التراث الشعبي من الموروثات الثقافية والاجتماعية التي يتمتع بها مجتمع من المجتمعات، سواء كان شفويا أو مكتوبا، وكذلك يعتبر جزءا أساسيا من كيان الأمة العربية الإسلامية، وللتراث الشعبي أنواع أهمها الأمثال الشعبية، العادات والتقاليد الشعبية، الأغاني الشعبية، الحكايات الشعبية وغيرها .

وقد وظف الأدباء الجزائريون التراث الشعبي في أعمالهم الأدبية لإضفاء جمالية سردية عليها، وتصوير المجتمع في أدق صوره، ومن الأنواع الشعبية الأكثر توظيفا نجد:

أ/ الأمثال الشعبية:

تعتبر أحد أنواع الفنون الأدبية، وتتمثل في عبارات قصيرة تعكس موقفا معينا عاشه شخص ما وتحمل معنى يتجاوز الملفوظ، ويعرفها الباحث الألماني "فريدريش زايلر" Friedrich Seiler بأنه: « القول الجاري على ألسنة الشعب الذي يتميز بطابع تعليمي

[1]- آسيا جبار، بوابة الذكريات، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات سيدنا، الجزائر، 2014، ص250.

وشكل أدبي مكتمل يسمو على الأشكال التعبيرية المألوفة»[1]. يظهر لنا من خلال هذا التعريف أن زايلر يحدّد المثل الشعبي باعتباره قولا مألوفا لدى الشعب يحمل طابعا تعليميا، به عبرة معينة، يقال في حدث أو موقف ما، ويميّزه زايلر عن الأشكال التعبيرية الأخرى في خاصية الاكتمال.

يجدر القول إذن بأن الأمثال الشعبية تؤدي دورا مهما في الخطاب الروائي وهذا ما نلمسه في روايات واسيني الأعرج التي تتضمن شتى أنواع التراث الشعبي، فكأنه يريد أن يظهر للقارئ العربي والغربي مدى تمسكه بأصالته وثقافته الجزائرية. ومن الروايات التي حضر فيها ذلك العنصر رواية "طوق الياسمين" التي تدور أحداثها حول قصة حب مستحيلة بين "سيلفيا" الفتاة السورية المسيحية "وعيد عشاب" الشاب المسلم، والتي انتهت بموت "عيد"، وقد كانت "سيلفيا" تزور قبره وتقف ساكنة أمام مقبرته التي كتب على شاهدها المثل الشعبي الآتي:«عاش ما كسب مات ما خلى»[2]. نلاحظ في هذا المقطع أن الكاتب يريد أن يقول إنّه مهما تعدّدت صراعات الإنسان في الحياة لقلب الموازين لصالحه، وفرض رأيه ومعتقداته على الآخر، إلاّ أنه لا يستطيع تحقيق ذلك، فالمرء يأتي فارغ اليدين إلى الدنيا ويعود منها فارغ اليدين، حتى إن نال مكانة اجتماعية وثقافية في الدنيا إلا أن كلّ شيء يبقى ملكا لله وحده.

استعان عبد الحميد بن هدوقة كغيره من الروائيين الجزائريين بالأمثال الشعبية في روايته "ريح الجنوب"، ويظهر ذلك مثلا في المقطع الآتي الذي يمثل حوارا دار بين العجوز "رحمة" و"نفيسة" حول تعلم صنع الفخار، فتقول العجوز "رحمة" للفتاة: « المثل يقول: تعلم صنعة واخفيها»[3]. يريد الكاتب أن يقول من خلال توظيفه لهذا المثل أن الإنسان عليه تعلم

[1]– سعاد زغبيب، الأمثال الشعبية السوفية، دراسة فنية، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي، إشراف: الأستاذ عبد الحميد جريوى، جامعة لخضر، الوادي(الجزائر)، 2016/2015، ص08.

[2]– واسني الأعرج، طوق الياسمين، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004، ص10.

[3]– عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، م. س، ص34.

حرفة معينة، قد يلجأ إليها في المستقبل، فالمرء مهما تعلم واكتسب حرفة إلاّ أنه يكون ناقص المؤونة، ولهذا كانت العجوز رحمة حريصة على تعليم ذلك "لنفيسة" التي تطمح إلى التحرر والانفتاح بدلا من صنع الفخار، وتواجه الفتاة العجوز بحجة الدراسة، إلاّ أن العجوز ظلت دائما تنصحها بضرورة امتلاك حرفة أخرى غير الدراسة، لأنها حتى وإن تخرجت وصار لديها شأن في المجتمع تبقى دائما بحاجة إلى حرفة، فالإنسان لا يدرك ما يخفيه له القدر.

يتبيّن لنا أن الأمثال الشعبية التي وظفها الروائيون الجزائريون في أعمالهم الأدبية تعكس حياتهم اليومية، وبالأخص الحياة الريفية، فيعتبرونها مرآة عاكسة لما يطبع واقعهم من آلام وأمال .

ب/ الأغاني الشعبية:

أخذ هذا النوع من التراث، كغيره من الأنواع الأخرى، نصيبه من الدراسات الأدبية، لأنه يعتبر من أحد مقومات الثقافة الشعبية، « فالأغنية الشعبية تعدّ في أدّق تفاصيلها عملا فرديا، ولكنها تصاغ في غاية من البراعة حتى في أشدّ صورها تركيبا لتوحي إلى أي فرد من أبناء المجتمع بأنها تخصه وحده دون غيره»[1]. فالأغاني الشعبية تعبّر عن مكبوتات المرء فما لا يستطيع البوح به يقوله من خلال الأغاني، وفي الوقت نفسه يعبّر عن الواقع، في شتى جوانبه سواء بالإيجاب أو السلب، وفضلا عن هذا يوظفه الأدباء بهدف إظهار الحنين إلى الوطن، والشوق إلى الماضي، وهذا ما نلمحه عند الروائي "واسيني الأعرج" في روايته "أشباح القدس" التي تدور أحداثها حول الفتاة "ميّ"، الفنانة التشكيلية الفلسطينية التي غادرت وطنها في عمر الثامنة إلى أمريكا هروبا من الحرب، فصارت فنانة تشكيلية معروفة في بلد غير بلدها، وفي نهاية القصة أصيبت بمرض سرطان الرئة، فأوصت ابنها "يوبا" بحرق جثتها ونثر

[1]– عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة دكتوراه لعلوم الأدب العربي الحديث، إشراف: الأستاذ محمد العيد تاورتة، جامعة منتورى، قسنطينة(الجزائر)، 2009، ص14.

رمادها في القدس ودفن عظامها في أمريكا، لكي يستطيع الذهاب إلى قبرها، وقبل وفاتها غنت له مقطعا كان يغنيه جدّها قائلة: « هذا ما تبقى من رحلة ثمانية قرون ونصف:

ليام تمرض وتبرا والصبر هو دواها.....

آه.....يا أسفي على ما مضى

من ذاك الزمان الذي فات وانقضى.....

آه يا فرقة الديار، ديار الأندلس.

ماهانوا عليّ.....ماهانوا عليّ.....»[1].

نلمس في هذا المقطع من الأغنية التحسّر الذي أحسّت به "مي" نحو وطنها الذي هجرته لسنوات، وطفولتها التي عاشتها في بلد أجنبي مع أناس غرباء، فلم تذق طعم الحنان وتستنشق هواء وتراب وطنها، فبعدما صارت على عتبات الموت شعرت بذلك الشوق الجارف لوطنها، ولم يكن في يدها ما تستطيع فعله، فالزمن الذي يفوت ولم يستغله المرء لا يعود، فلا تبقى سوى الحسرة.

من خلال المقاطع التي وظفها "واسيني الأعرج" في هذه الرواية نلمس نوعا من التناسق بين الأغاني الشعبية والخطاب السردي، وهذا ما يشدّ انتباه القارئ أكثر، فلا يكون متشتت الذهن ولن يتعذر عليه تتبع حيثيات الموضوع.

ويعدّ "محمد ديب" من أكثر الروائيين الذين وظفوا الأغاني في روايته "النول"، وهي الجزء الثالث لروايتي "الدار الكبيرة" و"الحريق"، فقد اتخذ من توظيفه للأغاني الشعبية وسيلة ليصوّر بها معاناة سكان "بني بوبلان"، وهذا ما نلمحه من خلال المقطع الآتي: « محمد شراق يسكر ويجئ يغني هذا الغناء في كلّ مساء:

أصبحت وحيدا منفردا

[1]– واسني الأعرج، سوناتا لأشباح القدس، ط1، إدارة الآداب، بيروت، 2009، ص28.

لا تصحبني إلا نفسي»[1].

يعبر هذا المقطع عن الحالة النفسية التي يمرّ بها "محمد شراق"، والمتمثلة في شعوره بالوحدة بعد ما تركه أحباؤه، فلم يجد خير أنيس له إلاّ "نفيسة" التي صارت الملجأ والملاذ الوحيد في حياته، ف"محمد شراق" لم يجد كيف يبوح عن مكبوتاته إلا من خلال غنائه المقطع السابق.

إن الروائي "محمد ديب " عند توظيفه للأغاني الشعبية أراد أن يظهر لنا دورها الهام في حياة الإنسان، معتبرا إياها مرآة عاكسة للحقيقة التي يعيشها المرء في السراء والضراء.

وجد الروائيون الجزائريون بديلا جديدا للتعبير عن مكبوتاتهم يكمن في توظيفهم للتراث الشعبي بكل أنواعه، ولكنهم لو يوظفوه بهدف الكتابة أو عبثا، وإنّما أرادوا، وبشكل كبير، أن يعرفوا القارئ المثقف الغربي والعربي، وبالأخص الجزائري، بموروثه الشعبي وثقافته، وكأنهم يرغبون في الوقت ذاته التمسك بالتراث الشعبي، مع ضرورة إيصاله إلى الأجيال القادمة وتعريفهم به، وصيانته من الضياع والتلف.

3/أسلوب السخرية:

تعتبر السخرية من أكثر الوسائل توظيفا في الرواية، حيث يعتمد عليها الكتّاب للتعبير عن استيائهم من مواقف معينة في المجتمع، وقد عرفها محمد ناصر بوحجام بأنها: « طريقة فنية أدبية ذكية ولبقة في الإبانة عن موقف وآراء ذات رؤية خاصة، وبصبغة فنية متميزة، وهي أسلوب نقدي هادف إلى التعبير عن أفعال معينة كعدم الرضا بتناقضات الحياة،

[1]– محمد ديب، النول، ترجمة: سامي الدروبى، دار الهلال، القاهرة، 1970، ص159.

وتصرفات النّاس، وكشف الحسرة والمرارة بطريقة غير مباشرة»[1]. فوجد كثير من الأدباء في السخرية الطريقة الأمثل للإفصاح عن آرائهم، والتعبير عن القضايا السلبية التي تصدر عن أفراد أو جماعات معينة في المجتمع، محاولين بذلك التخلص منها والدعوة إلى التحلي بالقيم الأخلاقية الجيدة، ليسود المجتمع النظام والهدوء.

نجد أن العديد من الروائيين الجزائريين لجأوا إلى أسلوب السخرية ووظفوه في أعمالهم الروائية، وخير مثال على ذلك رواية "رأس المحنة" لعز الدين جلاوجي، الذي عالج قضايا سياسية واجتماعية في الجزائر منذ الاستقلال إلى غاية فترة التسعينيات، وذلك بأسلوب ساخر، حيث تحدث عن الفساد الإداري والأخلاقي، وغياب الأمن والاستقرار، محاولا إبراز الصراع الحاصل بين مختلف فئات المجتمع، والكشف عن أسبابه قصد معالجته، وفي هذا السياق يقول في مقطع من الرواية: « مديرنا هذا وطني حقا لمّا عينوه كان كسلك الحديد...كأنّه مستورد من أثيوبيا...البذلة الرمادية وحدها تمشي...

اليوم صار بضخامة ثور يكاد يسقط للخلف....سرواله القديم لا يسع أصبعه...»[2]. يصف السارد في هذا المقطع حالة مدير المشفى بطريقة ساخرة، وذلك قبل وبعد استلامه للمنصب الجديد، حيث تغيرت حالته وأصبح إنسانا بدينا لا يتم التعرف عليه، وهذا دليل على انتهازه لخيرات المستشفى.

يواصل السارد السخرية من مدير المشفى، فيقول: « مديرنا إنسان وطني ضرب الرقم القياسي في احترام أوقات عمله، يدخل لمكتبه بعد العاشرة يتصفح الجرائد التي تشرى على حساب المشفى... يوقع الوثائق يطلع على المراسلات...العمال المخلصون كالكلاب المدربة بلا إيقاع يملؤون له السيارة بخيرات المشفى، أما المرضى المساكين فلا يعطى لهم إلا العدس

[1]– محمد بن قاسم ناصر بوحجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ط1، جمعية التراث غرداية، الجزائر، 2004، ص32.

[2]– عز الدين جلاوجي، رأس المحنة، 1+1 =0، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر،2011، ص30.

بالماء، فكيف نسكت اليوم عن هؤلاء الفئران»[1]. لقد وظف الكاتب السخرية في هذا المقطع ليظهر للقارئ التصرفات غير الأخلاقية لمدير المشفى، إذ إنّه إنسان يعمل بدون ضمير كما أنه شخصية مهملة لا يحترم أوقات عمله ولا يتحمل المسؤولية التي كلف بها، وكلّ ما يهمه ملء بطنه بمساعدة عمال المشفى، ولا يهتم لحالة المرضى إن شبعوا أو باتوا جياعا، ولهذا نجد السارد يسخر كثيرا من وطنية هذا المدير، ويحاول أن يصف أخلاقه الفاسدة.

يواصل السارد سخريته في صفحات أخرى من الرواية ليتحدث هذه المرة عن شخصية "أمحمّذ أملمذ" وينعته بأقبح الصفات، يقول في هذا المقطع: « وتذكرت أَمْحَمَّذْ... فعضضت إصبعي وقلت في سري آه يا زمان يا غدار حتّى أمحمّذ أَمْلَمَّذ غدا رجلا وتجرأ على خطبة ابنتي...ابنتي الجازية...الكلب بن الكلب...اللقيط بن اللقيط... خنزير فرنسا... يريد أن يستذلني»[2]. وظف الكاتب أسماء حيوانات كالكلب والخنزير، للسخرية من شخصية "أمحمّذ أملمّذ" عميل فرنسا قبل الاستقلال، حيث أنّه جمع ثروة هائلة مقابل خيانته لوطنه، وأراد الكاتب أن يبين للقارئ قبح أخلاقه ويكشف أيضا عن شخصيته الشريرة المتغطرسة، فهو إنسان مادي يتباهى كثيرا بماله وثروته، وبالنسبة إليه كلّ شيء يشترى بالمال لا تهمه كرامته ولا ضميره ولا أخلاقه، كما أنّه يريد أن يخطب "الجازية" ابنة المجاهد "صالح الرصاصة" لينتقم منه لقتل والده الحركي أثناء الثورة.

لقد كانت السخرية إذن وسيلة عز الدين جلاوجي للتعبير عن الجزائر المستقلة في روايته "رأس المحنة" ، والحديث عن الواقع الذي طغى عليه الفساد، محاولا بطريقته الساخرة إحداث تغيير في كثير من السلوكات والتصرفات غير المرغوب فيها في المجتمع.

---

[1]- ينظر:عز الدين جلاوجي، رأس المحنة، 1+1 =0، م. س، ص ص 30،31.

[2]– م. ن، ص115.

4/ توظيف التاريخ:

يعتبر توظيف التاريخ في الرواية ظاهرة فنية تستدعي الدراسة، حيث يعود الكاتب إلى الماضي لاستحضار أحداث تاريخية، فيمزج بين ما هو خيالي، وبين ما هو واقعي، لينتج لنا عملا فنيا روائيا متداخلا مع التاريخ، فنجده مثلا يوظف نصوصا قديمة مستوحاة من التاريخ الإسلامي، أو حروب أو غزوات، أو يوظف شخصيات وأبطال تاريخية.

وعليه فإن التاريخ يرتبط ارتباطا وثيقا بالرواية، ذلك أنه متخيل وقد يكون تاريخا لشخص أو حدث أو موقف أو خبرة[1] ، فظهر هذا التوجه في الرواية الجزائرية، وخاصة بعد الاستقلال، وذلك لتمجيد الثورة وإظهار شجاعة وبطولات الجزائريين في محاربة العدو الفرنسي، إذ أنّ الكاتب الجزائري ينطلق: « من صميم مجتمعه ليكتب قصاصات جريئة عن جزائره الحبلى بذكريات أمس– شاهدا أو راويا أو متخيلا– من أجل توصيل فكرة الثورة وبعث ثقافة المقاومة في الأجيال القادمة»[2]. ويعد الطاهر وطار من الروائيين الجزائريين الذين وظفوا تاريخ الثورة الجزائرية في رواياته "اللاز" التي تعود أحداثها إلى فترة الاحتلال الفرنسي، وكثر الحديث فيها عن بشاعة الجرائم التي ارتكبها المستعمر في حق المواطنين الجزائريين، ويسترجع الأديب أحداث مؤلمة عاشها الشعب خلال هذه الفترة، يقول في هذا المقطع: « إنّه يتذكر جيّدا الطائرات تقذف مئات القنابل تنفجر هنا وهناك وفي كل مكان، وكيف كان هو وكل أفراد دواره يتراكضون في الحصائد كالمجانين، والنيران تلتهب من تحتهم ومن فوقهم»[3]. يبين لنا هذا المقطع بشاعة الجرائم التي ارتكبها العدو الفرنسي أثناء أحداث 8 ماي 1945، التي ذهب ضحيتها آلاف من المواطنين، وبعد هذه المجزرة أصبح الشعب يخاف كثيرا من تكرارها مرة

[1]– ينظر: إبراهيم الفيومي، الرواية العربية، مؤسسة حمادة للدراسة الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن،2001، ص19.

[2] – يحياوي سامية، جدلية الواقعي والجمالي في الرواية الجزائرية، رواية الطوفان نموذجا، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، العدد13، جامعة 20أوت 1955، سكيكدة، 2016، ص32.

[3]– الطاهر وطار، اللاز، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007، ص36.

أخرى، وهذا ما يوضحه المقطع الموالي: « نخشى فقط أن يعيدوا لنا (ثمانية ماي) آخر»[1]. إلا أنّ شجاعة الشعب وإصراره زاده قوة وعزيمة على المطالبة بالحرية والاستقلال.

بعد تلك المجازر تغيرت نظرة الأهالي إلى المستعمر وأيقنوا أنّ الحرية تؤخذ ولا تعطى، وذلك لا يتم إلا بالحرب وإشعال نيران الثورة، ودعوة كلّ مواطن جزائري إلى الانضمام إليها، وهذا ما يبينه لنا المقطع التالي من الرواية: « لم يعد الحديث يدور إلا عن المعارك، والذبح، والحرق، وتخريب الأسلاك... اشتد حماس حمو ولاحظ قدور أنه لم يعد يتصل به هو فقط، بل بجميع الشبان...غالبا ما يسوقه في قالب دعائي يرمي به إلى إقناع قدور بضرورة الانضمام إلى الثورة »[2]. لقد نفذ صبر الشعب الجزائري من المستعمر الفرنسي والجرائم التي ترتكب في حقه يوميا، وأصبح كلّ واحد من أفراده يحاول إقناع الآخر بضرورة الانضمام إلى الثورة، ومحاولة زرع حب الوطن في قلوب المواطنين ومعاداة فرنسا، والدعوة إلى طردها نهائيا من الأراضي الجزائرية.

يواصل الكاتب سرد الأحداث التاريخية ليعود بنا هذه المرة إلى عهد الرسول (ص) ويسترجع حادثة اختبائه مع صديقه أبي بكر الصديق في غار حراء، وهذا ما ورد في المقطع الموالي: « ولسبب ما وجد زيدان نفسه يفكر في النبي محمّد، وشعر نحوه بعطف كبير وهو يتصوره، متسللا في البهمة إلى غار حراء، ثمّ في الغار الموحش، والعرق يتصبب من كامل بدنه، ثم يستمع إلى الصوت ويستعيد صور الواقع الاجتماعي المحيط به»[3]. لقد ربط "زيدان" الحياة الشاقة التي يعيشها رفقاؤه المجاهدون في الجبل بحياة الرسول (ص) في غار حراء، وربّما شبه الحالة النفسية للمجاهدين في الجبال من قلق وخوف، وحالة عدم الاستقرار بمعاناة الرسول (ص) أثناء فراره من الكفار.

---

[1]- الطاهر وطار،اللاز، م. س، ص35.

[2]- ينظر: م. ن، ص40.

[3]– م. ن، ص89.

لقد شكل التاريخ عند الطاهر وطار المادة الخام، حيث استمد أغلب مواضيع رواياته من الثورة التحريرية الجزائرية، وتعد رواية "اللاز" خير مثال على ذلك، وفي هذا السياق تقول نصيرة زوزو:« المرحوم الطاهر وطار كاتب غزير الأدب، وتشكل اللاز نموذجا حاليا للأدب الجزائري الحديث الذي استمد نسغه من حرب التحرير الجزائري»[1]. وقد استطاع وطار أن يعبر بامتياز عن الثورة ويصوّر الواقع بكلّ دقة وتفصيل.

وكذلك نجد توظيف التاريخ في رواية واسيني الأعرج "أصابع لوليتا"، فقد وردت فيها مقاطع كثيرة حول الثورة الجزائرية. وتدور أحداث الرواية حول الانقلاب العسكري الذي حصل في الجزائر سنة 1965، أي ثلاث سنوات بعد الاستقلال، فيروي أحداث الانقلاب بطل الرواية والكاتب الشهير الذي اطلق على نفسه الاسم المستعار" يونس مارينا" إذ إنه رفض رفضا قاطعا الانقلاب على الرئيس "أحمد بن بلة" صديق والده أيام الثورة، وهذا ما يبينه المقطع التالي: « مع ذلك لم يجد يونس مارينا أي مبرر ليغفر للعقيد جريمته وانقلابه العسكري ضد الرئيس بابانا»[2]، إذ أنّه كان ضد فكرة دخول الرئيس "بابانا" للسجن وتعذيبه يوميا، وعبر عن غضبه من ذلك في مقالات عديدة كان يكتبها في أحد الجرائد السرية، وهذا ما يظهر لنا في هذا المقطع: « فقد وجد نفسه فجأة يكتب مقالة عن رئيس لا يجمع بينهما إلا كونه كان صديق والده أيام الثورة، وأنّه كان ابن مدينة مارينا»[3]، وهذا ما أدى إلى وقوعه في مشاكل كثيرة مع السلطات ليضطر في الأخير إلى الهروب إلى فرنسا حفاظا على حياته، وهذا ما يوضحه لنا المقطع التالي: « أمازلت تحت حماية من قتلوا والدك... قصدي الشرطة

[1]– نصيرة زوزو، الشخصيات الثورية في رواية اللاز لطاهر وطار، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السابع، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، 2011، ص68.

[2]– واسيني الأعرج، أصابع لوليتا ، مجلة دبي الثقافية، ط1، الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، باريس– الجزائر، تونس، 2012، ص84.

[3]– م. ن، ص85.

الفرنسية»[1]، فقد كان والد "يونس مارينا" مجاهدا أيام الثورة واستشهد أثناء دفاعه عن وطنه، فقام صديقه "الرئيس بابانا" بدفنه في مكان سري لا يعلمه إلا هو، ووعد "يونس مارينا" بإخباره عن مكان دفن والده بعد الاستقلال، يقول له في المقطع التالي، وذلك عندما كان صغيرا: « عندما تكبر سأحكي لك عن كلّ شيء يخص والدك. عليك أن تفخر به. وسنذهب سويا ونأتي برفاته، ونقيم له جنازة تليق بمقامه العالي، في مقبرة الشهداء»[2]. لقد كان الرئيس "بابانا" أمل "يونس مارينا" الوحيد في معرفة قبر والده، فبعد اعتقال الأول وهجرة الثاني إلى فرنسا فقد الرغبة في العودة إلى الجزائر رغم حبه الشديد لوطنه وتعلقه به، كما ذكر واسيني الأعرج أيضا شخصيات وأبطال تاريخية من الثورة الجزائرية أمثال: الشهيدان "عميروش" و"سي الحواس" وبهذا يكون تاريخ الثورة الجزائرية أكثر توظيفا في الروايات الجزائرية، وما الطاهر وطار و واسيني الأعرج سوى نموذجين لذلك، في سبيل تمجيد الثورة، و زرع حب. الوطن في الأجيال الصاعدة والدفاع عنه مهما كانت الظروف.

5/ توظيف الأسطورة:

لقد عرّف الباحثون الأسطورة بأنها:« قصة أو رواية خيالية، بعيدة عن الحقيقة وممزوجة بالخرافات والتلفيقات والأوهام، تدور حول أبطال وآلهة، أو ظواهر طبيعية أو اجتماعية لتفسيرها أو لإقناع الناس بأفكار وعقائد معينة»[3]. فمن خلال التعريف نستنتج أن الأساطير قصص خيالية مرتبطة بالظواهر الطبيعية، فعندما عجز الإنسان البدائي عن تفسير تلك الظواهر لجأ إلى أساطير، فنجد أنّ أبطالها آلهة، أو أنصاف آلهة، بهذا تكون أحداثها خرافية عجائبية لا يتقبلها العقل البشري.

[1]– واسينى الأعرج،أصابع لوليتا،م. س، ص167.

[2]– م. ن، ص198.

[3]– سناء شعلان، الأسطورة في روايات نجيب محفوظ، نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي، الأردن، ص26.

وقد تأثر الأدباء كثيرا بالأساطير ووظفها لكثير منهم في أعمالهم الروائية، وذلك لأهداف وأغراض مختلفة، ويعدّ عبد الحميد بن هدوقة واحدا من أولئك الأدباء الجزائريين الذين تأثروا بالأسطورة، وهذا ما نعثر عليه في روايته "ريح الجنوب" حيث تقول العجوز "رحمة": « هذا يا بني العام الذي باع فيه الحاج صالح رأسه على القرية»[1]، فيواصل السارد سرد أحداث الأسطورة على لسان العجوز"رحمة" التي تطلعنا على أخبار"الحاج صالح" الذي وعد أهل قريته بالتضحية بحياته من أجلهم، إذا عجزت طقوسه عن هطول الأمطار، وفي سبيل أهل قريته واحتراما لوعده رمى بنفسه في النهر، لتنزل بعد ذلك أمطار غزيرة وترتوي الأرض، وتعم فرحة كبيرة في القرية .

إلى جانب ابن هدوقة نعثر أيضا على الأسطورة في رواية "سيدة المقام" لواسيني الأعرج التي تروي وقائع عن العشرية السوداء. تدور الأحداث حول البطلة "مريم" التي تحب الرقص كثيرا، إلا أنّها تصاب برصاصة في رأسها بسبب الشجار الذي حصل بين رجال الأمن، والجماعات الإرهابية التي أطلق عليها الكاتب اسم "حراس النوايا"، فتمنع "مريم" من القيام بأي حركة تجهد بدنها، لكن حبّها للموسيقى والشغف بها جعلها تنسى الرصاصة التي في رأسها، وما أوصاها به الطبيب، فتقوم بإعداد حفل موسيقى وأداء دور "شهرزاد"، التي أعجبت بشخصيتها كثيرا، فتدخل في غيبوبة لتموت بعد ذلك في مستشفى مصطفى باشا.

تجلت الأسطورة في هذه الرواية في توظيف الكاتب شخصية "شهرزاد" المعروفة في حكايات "ألف ليلة وليلة"، "فشهرزاد" فتاة تتمتع بذكاء خارق، وهي شخصية قوية استطاعت أن تخلص نفسها من طغيان الملك "شهريار"، وذلك بحيلة الحكي والسرد، حيث أنّها كانت تسرد عليه كلّ ليلة حكاية فتعمد ألا تختتمها حتى وقع الملك في حبّها.

أعجبت "مريم" كثيرا بشخصية "شهرزاد" ووصل بها الحدّ إلى الرغبة في أن تكون مثلها في كلّ شيء. يقول السارد في مقطع من الرواية: « تريد أن تكون شهرزاد لا كما قرأتها في

[1]- عبد الحميد بن هدوقة، ريح الجنوب، م. س، ص22.

الكتب ولكن كما تشعر بها، كما تحياها لحما ودما وعنفوانا»[1]. تقمصت "مريم" شخصية "شهرزاد" فقاومت الموت رغم الرصاصة التي في رأسها، وتحدّت الجماعات الإرهابية، رغم التهديدات التي كانت تتلقاها يوميا، وكذلك "شهرزاد" تحدّت جبروت الملك "شهريار" وأجلت موتها بفعل الحكي، أما "مريم" في سيّدة المقام شغفت بالرقص وتحدت به الجميع، إلا أنّها لم تحافظ على حياتها في الأخير[2]، على عكس "شهرزاد" التي حققت كلّ أمنياتها، إذ أنّها حافظت على حياتها وتمكنت من تخليص بنات عصرها من ظلم الملك "شهريار"، والأهم من هذا كلّه أنّها فازت بحبه. إنّ توظيف الأسطورة في الأعمال الأدبية يضفي عليها جمالا وإبداعا ، وهذا ما لاحظناه في رواية واسيني الأعرج "سيّدة المقام"، حيث أنّه أبدع في نقل الواقع وتصويره فنيا.

[1]- واسيني الاعرج، سيدة المقام، مرثية الجمعة الحزينة، ط2، موفم للنشر، الجزائر،1997، ص141

[2]– ينظر: رجاء منصور، الأسطورة في الرواية الجزائرية– دراسية نقدية أسطورية مقارنة–،أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الأدب العربي، إشراف: الأستاذ الطيب بودربالة، كلية الآداب واللغات ، جامعة الحاج لخضر، باتنة (الجزائر)، 2014–2015، ص 314.

نستنتج أنّ المجتمع الجزائري مرّ بعدّة صراعات منها : مجالات الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، وغيرها، وقد حرص الأدباء الجزائريون في أعمالهم على تصوير الواقع المعاش سواء كان ذلك بلسان فرنسي أو عربي، ومن أبرزهم مولود فرعون، ومولود معمري، ومالك حداد، وفضيلة فاروق، وواسيني الأعرج، وغيرهم، فكلّ واحد منهم صوره لنا بأسلوبه وبتقنياته التي ينفرد بها، وذلك لإيصال الصورة الحقيقية التي يمرّ بها المجتمع الجزائري ككل، واستدعى ذلك توظيفهم لتقنيات الوصف، والسخرية والسرد التاريخي وكذا توظيفهم للتراث الشعبي الذي يعبّر عن الهوية الجزائرية.

المبحث الثاني:
التغيير على أنقاض المجتمع الأبوي

خاتمــة

نصل فـــي نهاية هذا البحث إلى مجموعة من النتائج التي أمكننا بلوغها عبر رواية "سالاس ونوجة" للرّوائي إبراهيم تزاغارت نذكر أهمها:

سلط الكاتب إبراهيم تزاغارت الضوء على عينة من المجتمع تجسّد صراع الرؤى والذهنيات الحاصل بين الشخصيات الثانوية والرئيسة المجسدة في الرواية، حيث أنشأ طرفين، طرف متمسك بالعادات والتقاليد وآخر يصارع ليتجاوزها، ويتحرر من تسلطها، بغية العيش حسب تطلعاته ورآه.

لقد بيننا صراع الأفراد ضد المجتمع الأبوي باعتمادنا على المنهج السيميائي في رصد أهم الصراعات الكائنة في الرّواية. وقد ارتبطت في مجموعها بصراع الذهنيات والتوجهات، ومن النتائج التي نستخلصها:

– توجد العديد من الثنائيات الضدية المتمثلة في السيطرة واللاسيطرة ،الحرية واللاحرية وكلّها تنصب في قاموس الصراع الذي يشكل أحد منطلقات تزاغارت في روايته"سالاس ونوجة".

– عالج الكاتب أهم التغيرات الاجتماعية، والفكرية التي طرأت على المجتمع القبائلي التقليدي.

– ميّز الكاتب بين التفكير عند المجتمع القبائلي التقليدي، والمجتمع الحديث، عن طريق رصد أهم الاختلافات البارزة عند كلّ شخصية من الشخصيات وإظهار الصدام القوي الحاصل بين الذهنيات، والقناعات، والرؤى.

– حاول الروائي بناء جيل جديد متفتح ومحافظ في الآن ذاته، رافض للأعراف التي تقيده، مشيّدا بناءه على رواسب الثقافة التقليدية.

– أراد إبراهيم تزاغارت أن يبين لنا بأن الفرد في المجتمع الحديث، هو المسيطر على العادات والتقاليد، على عكس المجتمع القديم إذ كانت الأعراف هي المسيطرة على العادات والتقاليد والمهيمنة على الفرد المحددة لمصيره، وعلامة ذلك في الرواية تحرّر"نوجة" من الزواج الموعود، و تمكّنها من تحقيق رغبتها في الانفصال عن ابن خالها.

– بدأ الكاتب روايته بحالة حزن وختمها بحالة فرح، لكنّه تركها مفتوحة لأنّه لم يذكر لنا إن تم الزواج الفعلي بين البطلين "سالاس" و"نوجة"، بل ترك ذلك للقارئ ليؤول حسب منظوره الخاص، وفي تلك النّهاية المفتوحة دلالة عميقة، توحي باستمرار الصّراع بين الأجيال وتُظهر طابعه الجدلي.

قائمة المصادر والمراجع

أ- الكتب:

1-إبراهيم الفيومي: الرواية العربية حمادة للدراسة الجامعية والنشر والتوزيع، الأردن، 2001.

2-إبراهيم تزاغارت : "سالاس ونوجة"، ترجمة: فرحات بلولى، تيرا للنشر، بجاية، 2012.

3-أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1993.

4-أديب الخالدي: المرجع في الصحة النفسية، نظرة جديدة، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2009.

5-آسيا جبار: بوابة الذكريات، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات سيدنا، الجزائر، 2014.

6-رشيد بوجدرة: تميمون، ط2، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار والاتصال، الجزائر، 2002.

7-سعيد بنكراد، السيميائية السردية(مدخل نظري)، ط1، منشورات الزمن، للدار البيضاء، المغرب، 2001.

8-سناء شعلان: الأسطورة في روايات نجيب محفوظ، نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي، الأردن.

9-طاهر وطار: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007.

10-عبد الحميد بن هدوقة: ريح الجنوب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1971.

11- : غدا يوم جديد، منشورات الأندلس، الجزائر، 1992.

12-العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون والثورة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، 1995.

13-عز الدين جلا وجي: رأس المحنة 1+1= 0، دار المنتهى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

14-فضيلة فاروق: أقاليم الخوف، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، 2010.

15- : تاء الخجل، ط1، رياض الريس، للكتب والنشر، بيروت، 2003.

16-مالك حداد: ليس في رصيف الأزهار من يجيب، ترجمة: ذوقان قرقوط، الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، 1999.

17-محمد الغزالي: قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة، دار المشرق، القاهرة، 1992.

18-محمد بن قاسم: ناصر بوجام، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ط1، جمعية التراث، غرداية، الجزائر، 2004.

19-محمد ديب: الحريق، ترجمة: سامي الدروبي، مؤسسسة دار الهلال، القاهرة، 1970.

20- : النول، ترجمة: سامي الدروبي، دار الهلال، القاهرة، 1970.

21-محمد ساري: القلاع المتآكلة، منشورات البرذخ، الجزائر، 2013.

22-محمد عبد الكريم الحوراني: النظرة المعاصرة في علم الاجتماع- تمدد آفاق النظرة الكلاسيكية-،ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 2012.

23-محمد عزام: شعرية الخطاب السردي(دراسة)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2005 .

24-مخلوف عامر: التحولات في الجزائر، دراسة نقدية، في مضمون الرواية المكتوبة بالعربية، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000.

25-مولود فرعون: ابن الفقير، ترجمة، عبد الرزاق عبد الحميد، دار تلا نتيقيت، بجاية، 2014.

26-واسيني الأعرج: سيدة المقام، مرثية الجمعة الحزينة، ط1، موفم للنشر، الجزائر، 1997.

27- : طوق الياسمين، ط1، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، 2004.

28- : سوناتا لأشباح القدس، ط1، دار الآداب، بيروت، 2009.

29- : أصابع لوليتا، مجلة دبي الثقافية، ط1، الصدى للصحافة والنشر والتوزيع، باريس- الجزائر- تونس، 2012.

ب- المعاجم:

30 - أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الإفريقى، المصرى، لسان العرب، ط1، مجلد الثامن، باب ع، دار الصاب ، بيروت،1992.

31 - بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص، عربي، انجليزي، فرنسي، دار الحكمة، الجزائر، فيفري، .2000

32- فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، ط1 ، منشورات الاختلاف، الجزائر،2010.

ج- الرسائل الجامعية:

33- رجاء منصور، الأسطورة في الرواية الجزائرية- دراسة نقدية أسطورية مقارنة- أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه العلوم في الأدب العربي، إشراف: الأستاذ الطيب بودربالة، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة(الجزائر)، 2015/2014.

34- سعاد حمدون، صورة المثقف في روايات بشير مفتى، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير، إشراف: الأستاذ لبوخ بوحملين، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، 2009/2008.

35- سعاد زغبيب، الأمثال الشعبية السوفية، دراسة فنية، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي - إشراف: الأستاذ عبد الحميد جريوى، جامعة لخضر، الوادي، الجزائر.

36- عبد القادر نطور، الأغنية الشعبية في الجزائر، مذكرة لنيل شهادة الدكتوراه لعلوم الأدب العربي الحديث، إشراف: الأستاذ محمد العيد تاورتة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2009./2008

37- كاميليا بورنان، الصراع في رواية ابن الفقير، لمولود فرعون، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الاداب واللغة العربية، إشراف: الأستاذ عبد الحميد جودي، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، 2016/2015.

د- المجلات:

38- نصيرة زوزو: الشخصيات الثورية في رواية اللاز لطاهر وطار، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد السابع، جامعة محمد خيضر، بسكرة (الجزائر)، 2011.

39- وسيلة بويعلي: مظاهر التسلط الأبوي في الأسرة الجزائرية من وجهة نظر الأبناء المراهقين، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد30، جامعة الحاج لخضر، باتنة (الجزائر)، 2017.

40- يحياوي سامية: جدلية الواقعي والجمالي، في الرواية الجزائري، رواية "الطوفان" نموذجا، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية ، العدد13، جامعة 20 أوت1955 ، سكيكدة (الجزائر)، 2016.

هـ- مقالات:

41- أبو لحية شهرزاد: التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية بين الماضي والحاضر، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد17، جامعة الشهيد حمة لخضر الوادي (الجزائر)، 20 سبتمبر 2016.

و- الملتقيات:

42- دهيمي زينب، التغيير الاجتماعي داخل الأسرة الجزائرية دراسة مقارنة بين الأسرة الممتدة " التقليدية والأسرة النووية" "الحديثة"، ملتقى وطني حول الأسرة والتحديات المعاصرة، جامعة خنشلة (الجزائر)، 16/15 ماي 2012.

43- وسيلة بويعلي وفرج الله صورية، صراع حول القيم الاجتماعية في الأسرة الجزائرية دراسة استطلاعية على عينة من المراهقين، الملتقى حول الاتصال وجودة الحياة في الأسرة، جامعة قاصدي مرباح، قسيم العلوم الاجتماعية، ورقلة (الجزائر) ، أيام 10/09 أفريل 2013.

فهرس

مقدمة..... 01

الفصل الأول: التصوير الأدبي في الرواية الجزائرية.....04

المبحث الأوّل: نماذج الصّراع في الرواية الجزائرية.....06

1- مفهوم الصّراع..... 07

2- أنواع الصّراع..... 08

2-1- الصّراع النفسي.....08

2-2-الصّراع الاجتماعي.....10

2-3-الصّراع السياسي..... 14

2-4الصراع الديني.....19

المبحث الثاني:أساليب تصوير الصّراع في الرواية الجزائرية.....21

1- أسلوب الوصف..... 22

2- التراث الشعبي..... 25

3- أسلوب السخرية.....29

4-توظيف التاريخ..... 32

5-توظيف الأسطورة..... 35

الفصل الثّاني: تمثيل الصّراع في رواية"سالاس ونوجة".....37

المبحث الأوّل:صراع الشخصيات والذهنيات.....41

1- صراع الأفكار و المواقف.....42

2- صراع الرؤى والذهنيات 48

المبحث الثاني: التغيير على أنقاض المجتمع الأبوي.....56

1- سمات المجتمع التقليدي 57

2- سمات المجتمع الحديث 58

3- البناء والتأسيس علي أنقاض المجتمع الذكوري.....59

الخاتمة..... 63

قائمة المصادر والمراجع.....66

الفهرس 71